مركز أبحاث حركة تحرير حمص

نظرية الحرب الثورية
(حرب العصابات)
وتطبيقاتها العملية

حمص
٢٢ / ٥ / ٢٠١٥ م

الفهرس:

الفصل الأول	الحرب الثورية (حرب العصابات)	٤
	أولاً: تعريف حرب العصابات	٤
	ثانياً: خصائص حرب العصابات	٥
	ثالثاً: أهداف حرب العصابات	٦
الفصل الثاني	تجارب حرب العصابات في بعض الدول الساعية للتحرر	٧
	• التجربة الفلسطينية	٧
	• التجربة الفيتنامية	٨
	• التجربة الكوبية	١٠
الفصل الثالث	القتال في المدن كأحد تكتيكات حرب العصابات	١٣
	• الفلوجة	١٣
	• مصراته	١٤
	• غزة	١٥
	• حمص	٢٠
الفصل الرابع	نماذج تطبيقية من منظمات طبقت النظرية الثورية	٢٢
	منظمة أيوكا	٢٣
	حركة الضباط الأحرار	٢٥
	حركة تحرير حمص	٢٨
المراجع		٢٩

مقدمة:

تبقى نظرية حرب العصابات المرجع الدائم للمقاتل والثائر في عموم الدول الباحثة عن حريتها، تتشاركها المناطق والحركات الباحثة عن التحرر في مختلف أنحاء العالم، ويأتي هذا البحث لمحاولة تبسيط نظرية الحرب الثورية، وربطها بتطبيقات عملية من أجل تقريب فهمها للقارئ.

ورغم أن كتب حرب العصابات التقليدية موجودة بكثرة في المكتبات، إلا أن أغلبها مترجم، أو يتكلم عن تجربة معينة، لذا فكان لابد من وضع هذه الدراسة، للاطلاع على النظرية من قبل المتابعين.

وقد أتت هذه النظرية في أربعة أقسام، الأول منها حول تعريف حرب العصابات ومقارنتها مع غيرها، بشكل نظري، بينما تتكلم الثلاثة الأخرى عن فقرات تطبيقية، فيتكلم الثاني عن تجارب بعض الدول في هذا الجانب، ويتكلم الثالث عن حرب المدن كأحد التكتيكات المتبعة في الحرب، ويتكلم الرابع عن حركات ثورية في مناطق مختلف من العالم.

ويمكن أن تقدم هذه المادة عن طريق دورة تدريبية أو محاضرة | محاضرات تعريفية، وتكليف المتدرب على الاطلاع على تجارب عملية أخرى، بالإضافة لمقارنة التجارب ببعضها البعض، واستخلاص خصائص كل تجربة، بالإضافة للنقاط المشتركة بين هذه التطبيقات.

كما يمكن أن يتم عرض فيديوهات توضيحية عن أساليب القتال والتكتيكات المتبعة في هذا الجانب، ونقترح هنا الفيديوهات الآتية على اليوتيوب:

سلسلة الخطط الحربية للجزيرة: حرب العصابات، على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=EDjw0KlvgZ4

الجيش الجزائري: تدريبات حرب العصابات:

https://www.youtube.com/watch?v=349NDiTE6VA

وغيرها من الفيديوهات التي يمكن أن يستفيد منها المحاضر في عرض البحث بشكل بعيد عن الملل.

الفصل الأول: الحرب الثورية

ذكرت بعض المصادر أن الحرب التقليدية: " يقصد بالحرب التقليدية ذلك النوع من الحروب الذي تخوضه – بصفة أساسية – القوات النظامية لدولة أو أكثر ضد دولة أو أكثر[١]".

وقد أضافت العلوم الحديثة أبعاداً جديدة لهذه الحرب، إلا أن عناصر الحرب التقليدية بقيت ذاتها، فهي قائمة على أساس الاستراتيجية، الخطة، التقدم العلمي، التكتيك.

ولما كان التعريف الخاص "بالحروب التقليدية" لا ينطبق على حالتنا هذه، أي انتفاء وجود الدولتين المتحاربتين، وانتفاء تقابل جيش لآخر، فإننا نبحث في إطار نظري آخر، عن ثوب ما نلبسه لهذا النوع من المعارك، وننتقل معه إلى حرب العصابات.

أولاً: ماهية حرب العصابات

لقد عرف أهل فن الحرب، حرب العصابات بأنها: " شكلٌ خاصٌ من أشكال القتال، يدور بين قوات نظامية، وبين تشكيلات مسلحة تعمل في سبيل مبدأ أو عقيدة بالاعتماد على الشعب أو جانب منه، وتستهدف تهيئة الظروف الكفيلة بإظهار هذا المبدأ أو هذه العقيدة إلى حيز التطبيق[٢]".

وعرفها آخر بأنها: " حرب العصابات هي حربٌ أقلُّ من محدودة، وغيرُ نظامية، بين طرفين غير متكافئين وهي قد تكون حرباً وحدها، أو تأخذ شكِّل جزء من تكتيكاتِ حربٍ تقليدية، دوافعها تحرّرية، أو للتخلّص من دكتاتورية، أو انفصاميّة عرقيّة، وهي غالباً ما تستند إلى حركةٍ سياسيةٍ تتولى إدارتَها."[٣]

---

[١] الدريدري، أحمد هانئ، الثقافة العسكرية، موقع منبر التوحيد والجهاد، http://www.tawhed.ws

[٢] المرجع السابق.

[٣] صبحة، محمد ناجي، حرب العصابات والتطبيق الفلسطيني، مؤسسة فلسطين للثقافة، ٢٠١١.

وقد عرفها آخر بأنها: "حربٌ بأبسط الأشكال وأرخص الأدوات من قِبل طرف فقير ضعيف ضد خصم قوي يتفوق عليه في العدة والعتاد[٤]"

وقيل عنها "حربٌ ثورية، تُجند السكان المدنيين أو جزء منهم ضد القوة العسكرية للسلطة الحاكمة القائمة محليةً كانت أو مغتصِبةً أجنبية، والثوار هم مجموعة من السكان المحليين تعارض منهج الحكومة وفكره وشرعيتها."[٥]

ولقد عرّف الجنرال فونغوين جياب، قائد معركة "ديان بيان فو" الشهيرة في الفيتنام، هذه الحرب مستخدماً تعابير ماو الصينية نفسها[٦]:

(إن حرب العصابات هي شكل النضال الذي تتبناه جماهير بلد ضعيف التجهيز، للصراع ضد جيش معتد يمتلك تجهيزاً متفوقاً ومستعملاً تقنية أفضل. إنه الأسلوب الملائم للثورة. ويعتمد ثوار العصابات على بطولتهم من أجل الانتصار على الأسلحة الحديثة، وتجنب العدو عندما يكون الأقوى، ومهاجمته عندما يكون الأضعف إنهم يتفوقون أو يجتمعون، لاستنزافه تارة أخرى، ولكنهم يمتلكون دائماً إرادة القتال في كل مكان، بحيث يجد العدو نفسه أينما ذهب، غارقاً في بحر من البشر المسلحين، الذين يهاجمون، ويدمرون معنوياته وينهكون قواه).

وقد أطلق عليها آخرون اسم حرب المستضعفين، أو حرب البرغوث، أو حرب الشعب[٧]، أو الحرب الثورية.

ثانياً: خصائص حرب العصابات

أ- توفير أعداد المقاتلين: فوفق الدراسات العسكرية تم التأكيد أن قتال العصابات يتطلب خمسة أضعاف العدد من القوات النظامية في أقل تقدير، يقول موشى ديان الجنرال الصهيوني المشهور: "لوحظ أن مائة فئة تؤلف من كل منها من ١٥رجلاً (أي١٥٠٠رجل)، في الخطوط الخلفية

[٤] المقرن، عبد العزيز، دورة تدريبية، معسكر البتار للتدريب، دورة تدريبية، ٢٠٠٤.

[٥] المقرن، المرجع السابق.

[٦] روبرت تابر، حرب المستضعفين، دار النشر غير معروفة، النسخة العربية.

[٧] فياض، علي، التجربة العسكرية الفيتنامية، مؤسسة عيبال، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، ص١١١.

المعادية، في مستطاعها أن تشغل مائة وحدة من القوات النظامية تؤلف كل منها من ١٠٠رجل إلى ١٠٠٠رجل" أي أن ألف وخمسمائة رجل قد يشغلون عشرة آلاف كحد أدنى".

ب- حرب العصابات اقتصادية في ما يتعلق بالتموين والإمداد.

ت- تساعد على إذكاء الروح الثورية للسكان والمدنيين، وإيجاد بيئة مساعدة على العمل ضد العدو.

ث- ممتازة في حالات قلة التنسيق وصعوبته.

ج- ذات ميزة عقائدية، روحية أو مذهبية، تتفوق بها على العدو.

ح- سرعة الحركة لقوات العصابات وخفتها، وعلى الرغم من أن العدو معروف المكان، وقواعده ثابتة، فإن العصابات تكون ذات تمركز غير ثابت وقواعد غير معروفة، وخفيفة التنقل والحركة.

خ- الضرب ثم الهرب، الكر ثم الفر.

د- استغلال حرب العصابات للحط من هيبة النظام القائم، وتوضيح طبيعة الصراع وجوهره.

ذ- الضرب في عدة نقاط وتوزيع الضربات على أكبر بقعة ممكنة من المنطقة الخاصة بالصراع.

ثالثاً: أهداف حرب العصابات

أ- استنزاف العدو اقتصادياً وعسكرياً وإرهاقه معنوياً، لقد أثبت الواقع أنه حتى في حالات الدول الضخمة كالولايات المتحدة الأميركية فإن الحروب تستنزف تلك الدول، حيث زاد الدين للولايات المتحدة الأميركية بعد الحربين الأفغانية والعراقية، وكذلك ارتفعت نسبة التضخم، واهتزت الثقة بالاقتصاد، وارتفعت القلاقل الداخلية والضغوط اتجاه عدم إرسال الجنود الأميركيين إلى دول العالم[٨].

ب- سلب العدو أمنه وجعله يعيش في حالة من الخوف والتوتر والقلق والاضطراب، ولا استقرار دائم، حيث أن الكثير من المستوطنين اليهود يعيشون حتى اليوم في حالة قلق وخوف من التهديدات المجاورة[٩].

---

[٨] راجع:

سلامة، رمزي، الآثار السياسية والاقتصادية للحرب على العراق (٢٠٠٣-٢٠٠٨)، مجلس الأمة الكويتي، ٢٠٠٨.

حسيب خير الدين، العراق وأمريكا إلى أين؟، مركز الدراسات العربية المعاصرة، جامعة جورج تاون، واشنطن، ٢٠٠٦.

[٩] ورد في كتاب "مهنتي كرجل مخابرات" ليعقوب بيري، قصة لتاجر يهودي تم خطفه من قبل قوات المقاومة الفلسطينية، مما دفعه للهرب خارج اسرائيل بعد إطلاقه وعدم العودة إليها أبداً.

ت- خلق ظروف متأزمة تورط العدو وتجعله يفكر بأنه لن يستطيع القضاء على العصابات ضمن الظروف الراهنة.

ث- إبراز عدالة القضية عالمياً والتركيز على أهميتها وضرورة حلها.

ج- يقظة شاملة في إطار الدولة وانخراط المزيد من الناس، وبث روح العزيمة والإرادة.

ح- السيطرة على سلاح العدو لتقوية العصابات مقابل إضعاف العدو.

خ- الحط من هيبة العدو وسمعته.

د- نشر الفكرة التي يقاتل من أجلها الثوار ، أو الثوار في أنحاء مختلفة من العالم ، وإبقاء جذوتها مشتعلة، وتداولها جيلاً بعد جيل، حتى يأتي ذلك الجيل الذي يحقق النصر.

الفصل الثاني: تجارب بعض الدول الساعية للتحرر في مجال الحرب الثورية

لقد خاضت أعداد كبيرة من بقع العالم حروباً في سبيل نيل حريتها وتحقيق أهدافها، ولعل أبرز تلك التجارب وأقربها إلينا:

- **التجربة الفلسطينية:**

لطالما بقيت قضية فلسطين، هي القضية المركزية للمسلمين والعرب في مختلف الدول، إلا أنه رغم هذا لم تخض الدول العربية حروباً تقليدية متعددة في سبيل دعم هذه القضية، ففي العام١٩٤٨ انتفضت الشعوب العربية والمسلمة كرد فعل على إعلان قيام "دولة اسرائيل"، وكان موقف أغلب الدول خجولاً وقائماً على أساس حفظ ماء الوجه، وكذلك لم تكن الحروب التي تلتها ذات مكاسب للقضية ذاتها، بل ربما في أحسن أحوالها لتحقيق مكاسب للحكومات التي خاضت تلك الحروب، ولطالما تاجرت كثيرٌ من الأنظمة بتلك القضية في سبيل نهب ثروات شعوبها أو بقائها في الحكم.

لقد قاد أبطال المقاومة الفلسطينية حرباً يومية بأبسط السبل ضد كيان اسرائيل، لقد ضحوا بكل شيء في سبيل ذلك، ورغم أنهم لم ينجحوا في تحقيق الهدف النهائي المتمثل بتحرير فلسطين، إلا أنهم لايزالون يقاتلون حتى اليوم في صبر وعزيمة تبعث على التفاؤل والأمل.

لقد بدأت حرب العصابات في فلسطين منذ وقت بعيد، فقد خاض الفلسطينيون[١٠] ثورة العام١٩٣٦ ببسالة ضد عدوين هما عصابات اليهود والمستعمر الانجليزي، وقد طورت المقاومة الفلسطينية أسلوب عمل فريد في مجال حرب العصابات، استطاعت من خلاله استخدام الصناعة المحلية المعتمدة على أبسط المواد لتصل صواريخ القسام إلى العمق الفلسطيني، وكذلك قضية الحرب تحت الأرض (الأنفاق) التي تقوم من خلالها المقاومة بعمليات إنزال خلف صفوف العدو أو استخدامها للإمداد، وقد تميزت المقاومة الفلسطينية الأخيرة بخصائص هي:

أ- العمل ضمن المدن، وتقارب أرض المعركة بين العدو والمقاومة، وقدرة العدو على التحليق فوق سماء الأرض الفلسطينية بسهولة.

ب- مواجهة عدو قوي، اقتصادياً وعسكرياً وتكنولوجياً وسياسياً وإعلامياً، وهو متشعب العلاقات في مختلف الدول ويستطيع التأثير في القرار الدولي، كما تنبع قوته من عقيدة أن يكون أو لا يكون، وعقيدة دينية قائمة على الدين اليهودي المعادي للمسلمين.

ت- محاصرة المقاومة الفلسطينية من قبل مختلف الدول، بما فيها الدول المجاورة وإضعاف إمدادها، حيث أن مصر تحارب الأنفاق حالياً، والأردن منعت التدريبات على أرضها، ولبنان أخرجت المقاومة الفلسطينية لصالح مقاومة حزب الله التابع لإيران.

ث- ضعف السلاح والعتاد، والإمكانيات المادية والإعلامية والعسكرية، وكذلك ضعف التقدم العلمي والتقني التي بين يدي المقاومة مقارنة بعدوها.

ج- حاضنة شعبية قوية ومحبة، تحاول أن تقدم كل إمكانياتها لدعم صمود المقاومة.

ح- عنصر بشري متميز في الروح المعنوية والتدريب والإرادة.

خ- معرفة بالأهداف البعيدة والقريبة، وما تريده المقاومة بالضبط من كل عملية.

د- معرفة بالعدو وكيفية تفكيره وأهدافه.

ذ- جهاز سياسي قوي، وصاحب رؤية استراتيجية، ولا يقل أهمية عن الجهاز العسكري.

- **التجربة الفيتنامية:**

كان الزعيم هوشي منه، يقاتل ضد الفرنسين منذ العام١٩٤٦، وقد سيطر الفرنسيون على أماكن واسعة من البلاد وبدأوا عملية تطهير لتلك المناطق، وسيطرت على المراكز الرئيسية والطرق والمحطات، وكان

[١٠] هلال، هيثم، موسوعة الحروب، دار المعرفة للنشر، بيروت، ٢٠٠٨، ص٤٣٠.

الثوار يمرون من الطرق الريفية الوعرة، ولم يكونوا يتمركزون في مكان محدد في تلك الأرياف الخفية، وقد نُظمت قوات الفيتنامية في ثلاث فئات[١١]، وفق النموذج المتبع في الصين:

١. المحاربون النظاميون الدائمون (تشولوك)، الذين يقاتلون في مختلف الأماكن.
٢. ثوار العصابات الإقليميون، المحاربون في مقاطعتهم، والقادرون في كل لحظة على العودة إلى حالتهم كفلاحين أو عمال عند الضرورة.
٣. رجال الميليشيا الريفيون (دوكتيش) وهم رجال عصابات في الليل، وفلاحون في النهار، ويقع على عاتقهم تنفيذ المهمات المحدودة: تخريب جسر، نصب الكمين، زرع ألغام على الطرقات، نقل الرسائل والأموال، ولكنهم يعودون إلى قراهم عندما تظهر أول بوادر الفعل العسكري.

عندما دخلت القوات الفرنسية إلى البلاد ظنت أن الأمر لن يستمر أكثر من ثلاثة أشهر لكنه استمر ثلاثة سنوات قتال على هذه الحال، يسيطر الثوار من خلاله على المخافر البعيدة ويهاجمون القافلات العسكرية، وغنموا خلال هذه العمليات الكثير من السلاح والعتاد، استنزف خلالها الجيش الفرنسي بشكل كبير، وتورط بعدها الجيش الأميركي في المعركة.

وبعد تطور العمل العسكري لدى الفيتناميين خاضوا عدة معارك تم من خلالها إفناء القوات المشاركة من قبل عدوهم، حتى بلغ عدد القتلى آلاف في معركة واحدة، وانتهى الأمر بضمان استقلال الثوار في بلد خاص بهم بعد صدور قرار بتقسم البلاد.

ولعل أبرز الخصائص التي عمل عليها الفيتناميون الثوار هي:

أ- استخدام المناطق الريفية ذات المخابئ الطبيعية لتنظيم الهجمات وإعدادها.
ب- استخدام أسلوب حرب البرغوث، إي ازعاج قوات العدو في مناطق متعددة وبشكل مستمر.
ت- الاعتماد في التسليح على الغنائم من العدو.
ث- كسب الحاضنة الشعبية بشكل كبير وواسع.
ج- القدرة على الاختباء والتمويه بسهولة ويسر وخفة الحركة والقدرة على التمويه العالي.
ح- عدم اتباع استراتيجية محددة في السيطرة على الأرض، بل الاعتماد على قتال العدو واستنزافه بالدرجة الأولى.

[١١] راجع في ذلك: حرب المستضعفين، مرجع سابق، وموسوعة الحروب، مرجع سابق.

يشار إلى أن الفيتنام خاضت تجربة أخرى في حرب العصابات ضد القوات الأميركية التي دخلت الفيتنام واستطاعت الانتصار بفضل أسلوب قتالها وصمودها والخبرة التي اكتسبتها من التجربة مع الفرنسين.

- **التجربة الكوبية:**

لقد اعتمدت الثورة الكوبية على الملهمين والقيادات المؤمنة بالنصر بالدرجة الأولى فبرز فيدل كاسترو وأرنستو تشي غيفارا وآخرون ألهموا الكثيرين من ثوار العالم، واعتمدت الثورة على عقيدة قوية ومبادئ الكفاح والعزيمة حتى النصر.

لقد قامت الثورة الكوبية على أساس ضرب العدو انطلاقاً من المناطق الريفية الوعرة، لإرهاق العدو وضربه في مقتل، فاعتمدت على مهاجمة مراكزه الحصينة ليلاً، والسيطرة على قوافله، والاعتماد على ما يغنمه الثوار ليقاتلوه به مرة أخرى.

ثم انطلق الثوار زاحفين من الجبال بعد أن أرهقوا أعداءهم وكسبوا الشعب، وتوجهوا نحو المدن فاتحين، فسيطروا على هافانا عام١٩٥٩، ونجحت الثورة[١٢].

ولعل أبرز خصائص هذه التجربة كانت:

أ- الاعتماد على الشخصيات الملهمة والثورية، المنظرة، الفاعلة، المؤمنة بالنضال، فقد رفعت الثلة الأولى من المناضلين شعار "نعيش أحرار أو نموت شهداء".

ب- الاعتماد على الجبال والأدغال كمنطلق أساسي للعمليات العسكرية، ومهاجمة القوافل والقطع العسكرية.

ت- اعتمدت في انطلاقها على ما يسمى "بؤرة الثورة"، أي الثوار المستعدين للقتال والتحرير بغض النظر عن الظروف المواتية للقتال.

ث- انتصار القوى الشعبية على الجيوش المنظمة[١٣].

---

[١٢] راجع في ذلك: حرب الغوار لتشي غفارا.

١٣ أكد أرنستو تشي غفارا في كتابه، حرب الغوار، على أن التجربة الكوبية حققت ثلاثة مكاسب هي:

"أولاً – تستطيع القوى الشعبية أن تكسب حرباً ضد الجيش النظامي.

لقد انطلقت التجربتان الكوبية والفيتنامية من مبادئ "الماوية" الصينية التي أرسى دعائمها الزعيم ماو عام١٩٢٧ في الصين، والتي اعتمدت على القتال انطلاقاً من الأرياف، ثم السيطرة على بعض المناطق لجعلها مركزاً لنشاطه وحملاته، وقد تميزت كل تجربة بأسلوبها الخاص الناتج من ظروف البلد الذي طبقها.

ثم كتب ماو تسي تونغ أفكار ماو، بالإضافة إلى الكثير من القضايا التي عمل عليها هو نفسه، ووضع عدد من المؤلفات في الحرب التي شكلت إطار حرب العصابات التي قام عليها الكثير من المقاومين والثوار.

لقد وضع ماو ثلاث مراحل أساسية لحرب العصابات هي:

١. مرحلة الانسحاب (الكر ثم الفر): يكون فيه العدو في حالة قوية وعلى الثوار أن يقاتلوه في المواقع الأضعف ثم يهرعون هاربين، وقد انسحب ماو في أحد المعارك عشرة آلاف كيلو متر مع آلاف الجنود.
٢. التوزان الاستراتيجي: حيث يرى ماو أن العدو يكون قد استُنزف من نتائج المرحلة السابقة، مما يحتم على قوات الثوار تنظيم صفوفها لمواجهته وجهاً لوجه.
٣. التقدم الاستراتيجي: وفيها يكون العدو قد أُنهك تماماً وقوات الثوار أصبحت قوية، وتستطيع أن توجه الضربة القاضية للعدو وتنهي العمل.

كما قدمت لنا الثورة الجزائرية أسلوباً نضالياً عظيماً، حيث قامت بضرب العدو الفرنسي خلال سنوات طويلة وأجبرته على الاعتراف بأحقية الشعب الجزائري بتقرير مصيره، مما جعله يوافق على ضرورة إجراء استفتاء لتقرير المصير، تحررت على إثره الجزائر.

كذلك قدمت لنا مذكرات الجنرال غريفاس عن الحرب في اليونان، نموذجاً مهماً من حرب عصابات قامت ضد محتل أجنبي، وقامت على أساس نشر الفوضى والخراب في صفوف العدو وانهاكه حتى الوصول لمرحلة الإذعان والاعتراف بالطرف الأخر.

ثانياً – لا ينبغي الانتظار دوماً حتى تجتمع كافة الظروف للقيام بالثورة، إذ يمكن للبؤرة الثورية أن تفجِّر هذه الظروف الثورية.

ثالثاً – ينبغي في الأنحاء المتخلفة من أمريكا، اتخاذ الريف ميداناً أساسياً للنضال المسلح."

وكذلك تجربة الثوار الأفغان وثوار العراق، كل هذا قدم نماذج هامة عن حرب عصابات حقيقة، توضح لنا الجوهر النظري والفروقات التطبيقية العملية.

وإن كان الأهم والأولى بالنسبة لنا هو دراسة التكتيكات العسكرية لمعرفة الأساس النظري لها من أجل اتخاذها كمقياس حكم على ممارسات عملية وتطبيقات حقيقية، كل هذا يوصلنا إلى النتيجة الآتية:

إن نظرية حرب العصابات وإن كانت واضحة المعالم في إطارها العام، إلا أنه اختلف في تطبيقها بين دولة وأخرى، وإن كانت الثورات الشيوعية هي الأكثر تمسكاً، بمبادئ تلك النظرية إلا أننا نجد أن ممارساتها اختلفت بين الصين، وكوبا، وفيتنام، واليونان وغيرها.

إن العلوم العسكرية ليست علوم كمية تطبيقية، أو تقريرية، تعتمد على حسابات دقيقة تعطي نتائج معينة، وإنما هي وصفية معيارية تقديرية، يقول اللواء موشى ديان: "قوانين حرب العصابات ليست تقريرية كقوانين الطبيعة والرياضة، وإنما هي معيارية أو تقديرية."[١٤]

وبالتالي لابد من الأخذ بعين الاعتبار الظروف الخاصة بالمنطقة التي يقاتل بها الثوار في سورية، وطبيعة المعركة وتعقيداتها، وامتدادها السياسي والجغرافي، والظروف الدولية التي تؤثر بها.

ولمزيد من الاقتراب من الظاهرة العسكرية القتالية التي جرت في مدينة حمص، فهنا لدينا تجارب بعض المناطق التي خاضت قتال مدن ضد عدوها.

[١٤] ديان، موشى، محاضرات في حرب العصابات، الأكاديمية العسكرية بتل أبيب، ١٩٦٧.

الفصل الثالث: القتال في المدن كأحد تكتيكات حرب العصابات

تعتبر حرب المدن أحد وجوه القتال الذي تفرضه طبيعة المعركة، لجيشٍ أو قواتٍ متمركزة داخل المدينة وقوات أخرى تطمح للسيطرة على هذه المدينة، وقد خاضت الجيوش القديمة حرباً على مشارف المدن، كانت تبدأها بالحصار لإنهاك عدوها ثم تبدأ اقتحاماً لقلاع وأسوار المدينة، وتدور المعركة في داخل المدينة التي غالباً ما يعلن عن السيطرة عليها بمجرد تحطم أسوارها، وفي التاريخ الحديث، فحرب المدن هي قتال في شوارع وأحياء المدينة، للسيطرة على أبرز المراكز الأمنية، ومؤسسات الدولة المدنية، وطرد موظفي الدولة من المدينة بغية السيطرة عليها ومن ثم حكمها، وإقامة سور من المقاتلين حولها لحمايتها، وقد شهدت عدد من المدن العربية والأجنبية هذا الأسلوب من المعارك في التاريخ الحديث، ولعلنا نورد بعض هذه التجارب:

- **الفلوجة**

لقد كانت الفلوجة –المدينة العراقية المشهورة– محل قلق دائم للجيش الأمريكي الذي احتل العراق، بعد إسقاط نظام حكم صدام حسين، فلطالما نفذ مقاتلوها عمليات خاطفة ضد دوريات الجيش الأميركي أو مناصريه.

في السابع والعشرين من شهر أيار العام ٢٠٠٣، اشتبكت قوة من ثوار الفلوجة مع قوات الجيش الأميركي، بين طريق الفلوجة ومدينة الرمادي، أدت العملية إلى مقتل عدد كبير من الجنود الأميركيين وتدمير حوامة مع قتل كل من فيها.

في شهر نيسان٢٠٠٤حاصر ما يزيد عن عشرة آلاف جندي أميركي مدينة الفلوجة الصغيرة، وقد وضعوا في موقف حرج للغاية بعد اشتباكات دارت بينهم وبين الثوار، مما تسبب بإسقاط أكثر من طائرة وتدمير عدد من المدرعات ومقتل الكثير من الجنود، واستطاع الثوار في هذه العملية أن يقطعوا طرق الإمداد عن القوات الأميركية، وأن يفجروا الأرتال المتجهة نحو المدينة لتقديم الإمدادات[١٥].

[١٥] منصور، أحمد، حرب الفلوجة، هزيمة أميركا في العراق، دار الكتاب، ٢٠٠٨، ص١٧٩.

كذلك حصلت عمليات كثيرة من هذا النوع، كان الثوار من خلالها يقومون بعمليات خاطفة، وسريعة، ثم يختفون فجأة وبدون أي أثر، ووصل الأمر بمعارك الفلوجة إلى حد ترك أثر على المواطن الأميركي بضرورة مغادرة العراق، ومقارنة وضع الفلوجة مع وضع الفيتنام والصومال، الذي وصل به الوضع إلى حد خروج القوات الأميركية من هذه البلاد.

لقد تميزت الفلوجة عموماً بالخصائص الآتية:

١. القتال بأسلوب استخدام الكمائن، والاغتيالات[١٦]، والقنص عن بعد، ثم الاختفاء غالباً دون أن يعرف لهم أثر.
٢. ضرب الإمدادات والتحركات على الطرقات وتعطيل ممار الإمداد.
٣. اعتراف الولايات المتحدة بالخسائر والورطة والوضع المحرج، نتيجة الخسائر التي مني بها الأمريكان.
٤. ارتكاب الأمريكان ردات فعل عنيفة وصلت لمستوى مجازر، قاموا من خلالها بقصف المدنيين وقتل النساء والأطفال مما عرى صورتهم.
٥. تأليب الرأي العام الأميركي ضد مسؤولي الولايات المتحدة، مما دفع الأميركيون لمقارنة وضعهم بالفيتنام التي هزم فيها الأميركيون، أو الصومال التي خرج على إثرها الأميركيون من البلاد.
٦. دمرت الفلوجة وأخواتها صورة الجيش الذي جاء ليخلص الشعب من الآلام ، فقد استطاعت الفلوجة أن توحد العراق، ولمرة واحدة فقط توحدت خطب الجمعة بين الشيعة والسنة وكان الدعاء للفلوجة وأهلها وانتفاض العراق من أجلها.

- **مصراته**

في السابع عشر من شهر فبراير(شباط) العام ٢٠١١اشتعلت الثورة الليبية في عدد كبير من المدن والقرى الليبية، وكانت مدينة مصراتة الواقعة غرب-شمال ليبيا، والتي تتمتع بأهمية استراتيجية كبيرة، بالإضافة لأهميتها الاقتصادية، خلال أيام طرد الثوار أتباع القذافي من المدينة، ثم حاول القذافي اقتحامها والسيطرة عليها، ودارات بين الثوار وقوات القذافي معارك شديدة استمرت قرابة الثلاثة أشهر لتحرير المدينة بالكامل.

[١٦] وصل الأمر بالثوار العراقيين إلى محاولتهم أن يغتالوا جون أبي زيد قائد القوات الأميركية في العراق، وعلى الرغم من أنهم لم ينجحوا إلا أنه كان هدفاً مخيفاً بالنسبة للجميع، مما زرع الرعب في قلوب الجنود والضباط الاميركيين.

خاض ثوار مصراتة بالإضافة لوحدات منشقة من الجيش معارك ضارية ضمن ساحات وشوارع مصراتة، ولعل أبرز معارك مصراتة هي تلك التي دارت بتاريخ السابع من شهر مارس (آذار) وحتى العشرين من الشهر ذاته، عندما تقدمت مدرعات وعربات قوات القذافي بتغطية نارية، نحو مداخل المدينة واستطاعت الدخول إليها، واستطاع الثوار صد الهجوم عن طريق إجراء كمائن على الطرقات الرئيسية، بالإضافة لنشر قناصين في مواقع استراتيجية، أيضاً عملت قواذف (الآر بي جي) بالإضافة إلى (المولوتوف) بدائي التصنيع، التي أطلقها الثوار على إعطاب عدد من المدرعات ونجحوا في إيقاف سيطرة القذافي على المدينة.

لقد كانت معارك مصراتة ضمن المدينة عنيفة وعلى الرغم من أن التحالف الدولي ضد قوات القذافي أنقذ المدينة من السقوط، إلا أن الثوار استطاعوا أن يثبتوا كفاءة عالية في قتال الشوارع ويتبعوا تكتيات تمركز وقتال عالية.

لقد تميز القتال في مصراتة بما يلي:

١. تميزت مصراتة بموقعها الاستراتيجي المهم المطل على البحر، وسط مدن ليبيا المتوزعة على الساحل.
٢. خاضت مصراتة حرب مدن، استطاع الثوار رغم قصر الفترة –مقارنة بحرب المدن في أماكن أخرى– بأن يصمدوا في وجه آليات القذافي بما فيها الطائرات حيث دمروا آليات وأسقطوا طائرة أو أكثر خلال معركتهم، كما أسروا عدداً من الجنود.
٣. استمالت مصراتة كتائب ثورية كثيرة زحفت إليها من أجل فك الحصار عنها المساعدة على تحريرها وألهمت الكثيرين بسبب أهميتها والمجازر التي حصلت فيها من قبل قوات القذافي التي فتحت النار على المدنيين في الجنازات والمظاهرات وقصفت بيوتهم في الليل والنهار.

- **حرب غزة ٢٠١٤**

في الثاني عشر من حزيران ٢٠١٤اختفى ثلاث مستوطنين اسرائيليين، جنوب الضفة الغربية، وبعد ثماني عشرة يوماً عثر على جثث المستوطنين الثلاث شمالي الخليل، مما جعل إسرائيل تتهم حماس بقتلهم، الأمر الذي نفته حماس، وقال أكثر من مصدر أنها عملية قتل من قبل مستوطنين آخرين ولا علاقة لها بالصراع الفلسطيني – الاسرائيلي، قتل مستوطنون يهود على إثر تلك العملية فتى فلسطيني وأحرقوا جثته.

في السابع من شهر تموز بدأت اسرائيل حرباً على غزة، استخدمت فيها طائرات "الإف ستة عشر" والدبابات وصواريخ بعيدة المدى، ونزل بعد أيام آلاف الجنود الإسرائيليين لحصار غزة من كل الجهات تمهيداً لاقتحامها.

لم يكن أحد يتصور رد المقاومة الفلسطينية المتميز، والتي أطلقت مئات الصواريخ على المستوطنات الاسرائيلية، ووصلت صواريخها إلى تل أبيب وحيفا، وأوقعت خسائر كبيرة، وفرضت حظر طيران مدني على الطائرات العاملة، وأطلقت صرخة "حصار مقابل حصار" على إسرائيل، التي تعتبر شبه معزولة براً.

واستخدمت المقاومة تكتيكاً مميزاً عرف بـ بعمليات "إنزال" خلف خطوط العدو، عن طريق الأنفاق المحفورة، استطاعوا أن يقتلوا عدد كبير من الجنود بمثل هذه العمليات، كما خطفوا جندياً واحداً على الأقل، وأعلنت إسرائيل التي كانت تحاول التوغل في غزة وتواجه مقاومة شرسة، عن ما يقارب السبعين قتيلاً، وتدمير عدد من الدبابات والمدرعات، ويعتقد أن العدد الحقيقي أكثر من هذا بكثير، بينما قتلت إسرائيل ما يزيد عن أربعمائة طفل وما يقارب مائتين وخمسين امرأة ، وأكد بعد شهر من عملياته الجيش الإسرائيلي أن المهمة اكتملت ودمر الأنفاق التي كانت تتجه نحو اسرائيل![١٧].

وقد وصف ضابط إسرائيلي القتال في غزة بـ "المسلحون الفلسطينيون قاتلونا وجهاً لوجه ولم نعرف من أين كانوا يخرجون، فليس كل من قاتلوا جنودنا وجهاً لوجه خرجوا من أنفاق، لا ندري من أين خرجوا، ولولا تدخل سلاح الجو وطائرات إف ١٦ في الاشتباكات مع المسلحين الفلسطينيين، لما خرج جندي صهيوني على قيد الحياة."[١٨]

وقد كانت معركة غزة تتميز بما يلي:

١. حرب مقاومة ضد جيش يتصدر مراكز عالية في العالم في التسليح والتكتيك والتجهيزات الخدمية، مع هذا خاضت المقاومة الحرب وقتلت منه ما يقارب سبعين جندياً باشتباكات مباشرة.

---

[١٧] للمزيد أنظر:

١. حرب غزة الثالثة، حدود القوة الاسرائيلية وأفق المقاومة، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٤-٧-٢٠١٤.

٢. محسن محمد صالح، حركة المقاومة الإسلامية حماس: دراسات في الفكر والتجربة، مركز الزيتونة للدراسات، بيروت، ٢٠١٤.

[١٨] صحيفة الوسط، عدد ٦-٨-٢٠١٤.

٢. استخدم المقاومون العبوات الناسفة، والتسلل خلف خطوط العدو كتكتيك رئيسي لقتال الجنود الإسرائيليين مما فاجأ الجنود وأربكهم.
٣. كان التقدم من قبل الجيش الإسرائيلي مترافق بتدمير وسحق كل شيء تقريباً، مما فضح الجيش الإسرائيلي وأبرز ضعفه.
٤. استطاعت المقاومة رغم حصارها المفروض منذ سنوات، أن توصل صواريخها إلى العمق الإسرائيلي مهددة النشاط الاقتصادي بكافة جوانبه وفرضت حظراً للطيران المدني على إسرائيل.
٥. هددت أمن المدنيين وزرعت في قلوب المستوطنين الرعب، بإطلاق حملات إعلامية واختراق شبكاتهم الإعلامية والاتصالات والتواصل.
٦. رغم تواطؤ العالم مع إسرائيل، إلا أن المقاومة أبرزت دورها الشرعي من جديد.
٧. كذلك عرّت المقاومة الأنظمة العربية التي حملت لواء الممانعة، وأثبتت أن قوتها آتية من تضحياتها، وثباتها على الحق، وليس بدعم تلك الأنظمة التي تبيع وتشتري بشعارات المقاومة والممانعة.

وفيما يبدو على حرب غزة أن المقاومة كانت "فاهمة وعارفة" لخصائص عدوها، مما جعل أهدافها تتركز على نقاط ضعفه، فضربت المطار واخترقت الاتصالات، وقامت بعمليات خطف للجنود، وبالنسبة لأهداف اسرائيل التي تمثلت بتدمير الانفاق فهي تشبه الشفط من نهر جاري، فالأرض لا يمكن هدمها، والأنفاق يمكن حفرها من جديد.

ولعلنا بعد وضع التجارب العملية التي ذكرناها أعلاه، على سبيل تقديم أمثلة ونماذج مقارنة، وليس في سبيل الحصر، فنحن لا بد أن نقدم النموذج المقارن بما لا يجعل البحث خارجاً عن سياقه ومساره واستمراره، فيكون بحثاً في المقارنة والنماذج الشبيهة، وكذلك ضرورة وضع نموذج يمكننا من المقارنة والتشبيه، والتعرف على المستند النظري الصحيح.

وبعد وضع التعاريف الأساسية لنظرية حرب العصابات، نستطيع أن نلخص الأمر بمايلي:

الحرب هي نوع من العلاقات بين الأطراف التي تعتمد على العنف المسلح، وفيها تتصارع قوتان أو أكثر للعمل على حماية المصالح الخاصة بهذه القوى، أو تحقيق المزيد من المكاسب.

ويمكن أن تصنف الحرب إلى[١٩]:

١. بحسب السلاح المستخدم فيها إلى:

أ- حرب تقليدية الوسائط، أي أن استخدام السلاح فيها يكون مقتصراً على الدبابات والطائرات والمدافع وغيرها.

ب- حرب نووية، يكون الأمر فيها للسلاح النووي بغية حسم المعركة والوصول إلى ردة الفعل القصوى ضد العدو، "الضربة القاضية".

٢. وبحسب نطاقها إلى:

أ- حرب على مستوى الدول: أي صراع بين دولتين مختلفتين على مصالح معينة.

ب- أو بين قوتين محليتين وتعرف بالحرب الأهلية.

٣. أو بحسب التكتيكات المستخدمة فيها إلى:

أ- حرب نظامية: تكون بين جيشين نظاميين يتواجهان في الميدان.

ب- حرب عصابات: تواجه فيها قوات متفرقة قوى الجيش النظامي وتحاول أن تنهك قواه، بغية الوصول إلى مبتغاها.

وتتصف حرب العصابات بمجموعة من الخصائص الأساسية الآتية:

أ- حرب الإمكانيات البسيطة والمحدودة ضد الآلة العسكرية المتطورة التي يستخدمها النظام الظالم أو المحتل الباغي.

ب- حرب طويلة الأمد تعتمد على إنهاك العدو وهز صورته أمام مؤيديه، وكسب الرأي العام في البلد الذي تجري فيه المعركة.

ت- ضرب العدو في مختلف أماكن البقعة الجغرافية التي يتواجد فيها وتشتيت انتباهه، وإنهاكه بالتحرك الدائم.

ث- مهاجمة أماكن الضعف والقوات البعيدة، وضربها بحيث يتم إرعاب العدو في النقاط الأقوى.

ج- نصب الكمائن على الطرقات واغتيال الشخصيات المؤثرة، والتضييق على تحركات العدو.

---

[١٩] انظر:

كاخيا، ابراهيم اسماعيل، تصنيف الحروب الحديثة وفق المعايير المعاصرة، مجلة الفكر السياسي، تاريخ الإصدار غير معروف.

المقرن، عبد العزيز، كتاب البتار، دورة تدريبية، معسكر البتار، الإصدار الأول، شعبان١٤٢٥ هجري.

ح- السيطرة على السلاح من خلال العمليات البسيطة كالكمائن ومهاجمة النقاط العسكرية الضعيفة وهكذا.

خ- التدرب العملي بالعدو، من خلال مهاجمته في مختلف الأوقات، هجمات صغيرة تعتمد على الكر والفر مما يجعل العنصر أكثر خبرة ودراية بالمعركة وأساليبها.

د- تجييش الجمهور، وكسب تأييد الناس من خلال رواية قصص الأبطال المناضلين، وقصص التضحية والثبات.

ذ- العمل على الخط السياسي، لكسب تأييد دولي واسع، ومفاوضة العدو على الخروج من الأرض أو الرضوخ للأهداف الخاصة بالحرب.

ر- تعزيز وتطوير القيم الأساسية للحرب، القيم العادلة وقيم الحرية، والتأكيد على أن الحرب من أجل هذه القيم وليست من أجل المناصب.

وتمر حرب العصابات عموماً بثلاث مراحل، هي:

١. مرحلة الاستنزاف: ويتم من خلالها ضرب العدو ضربات خفيفة وموجعة، ويعتمد التكتيك فيها على عدم الاحتفاظ بالأرض ومحاولة، نشر العمل العسكري على أكبر بقعة ممكنة، ومحاولة تحصيل أكبر قدر ممكن من الغنائم، وتطوير جيش قوات العصابات من أجل التجهيز للمرحلة الثانية.

٢. مرحلة التوازن الاستراتيجي النسبي: ويتم في هذه المرحلة السيطرة على الأراضي وجعل نقاط الارتكاز منطلقاً للأعمال العسكرية، ومواجهة الجيش النظامي بشكل أكثر تنظيماً وكسره في معارك مختلفة، مع التأكيد على توجيه ضربات مؤلمة للغاية للعدو.

٣. مرحلة الحسم العسكري: وتمتاز هذه المرحلة بتنظيم عالي لقوات العصابات، تتقدم فيها نحو الجيش النظامي لكسره وتخليص الأراضي من يده، والسيطرة على القطع العسكرية الرئيسية، وتحرير المناطق المختلفة بغية إسقاط سلطته.

وهذا لا يعني أن تكون مختلف المناطق تسير بنفس السوية المرحلية، بل يمكن أن تبقى قوات منطقة ما تعمل على أساس الكر والفر وإنهاك العدو، فيما تكون قوات المناطق الأخرى تتجهز لاقتحام هذه المناطق، ويجب علينا التنبه إلى أن بناء استراتيجية عسكرية من منطلق حرب العصابات يتعلق بطبيعة المنطقة التي يجب البناء من أجلها، فمناطق عقد المواصلات وذات التواجد الحيوي للحكومة، يناسبها

كثيراً أسلوب الكمائن وضرب الطرقات وتعطيل عمل المؤسسات، وإشعار العدو بأنه غير آمن بشكل دائم ومستمر.

- **القتال في مدينة حمص**

بدأت الأعمال العسكرية في مدينة حمص في وقت مبكر من الثورة، فبعد أعمال القتل بحق المتظاهرين السلميين في حمص، ظهرت في حمص مجموعات تسمى بأمن المظاهرات، كانت تقتصر مهام تلك المجموعات على الوقوف على مفارق الطرق بسلاح خفيف (مسدس، بندقية صيد، كلاشنكوف...) لحماية المتظاهرين من هجمات الشبيحة والنظام، وعند بدء انتشار الحواجز العسكرية لجيش النظام في المدينة، بدأت "مجموعات أمن المظاهرات" توسع نشاطها لمهاجمة تلك الحواجز، كرد فعل على قنص المارة، أو لكبح تمدد تلك الحواجز للاعتداء على كرامة الناس، ونتيجة الممارسات المشينة لتلك الحواجز.

مع بداية الشهر الحادي عشر من العام ٢٠١١ (أقل من ثمانية أشهر على بدء الثورة السورية)، بدأت المجموعات المسلحة في مختلف المناطق بفكرة مهاجمة الحواجز العسكرية بغية إزالتها[٢٠]، الفكرة التي كانت تنظيراً أكثر من كونها معرفة عملية بالواقع الفعلي لمدينة حمص.

إن "فكرة إزالة الحواجز" إما أنها كانت غير مخططة، من قبل هذه المجموعات، وبالتالي لم تدرك هذه المجموعات أبعادها ونتائجها، أو أنها قائمة على فكرة نظرية تكافئ تلك التي يتم الحديث عنها في كتب حرب العصابات من ضرورة تطهير مناطق معينة من أجل جعلها منطلقاً لممارسة الأعمال.

لقد كانت فكرة إزالة الحواجز تقوم على أساس، أن يبدأ كل حي بتنظيف نفسه، وهكذا تصبح لدينا "مناطق محررة"، هذه الفكرة –ربما– قامت على أساس فكرة نظرية تتعلق بالمرحلة الثانية من حرب العصابات، وهي مرحلة المواجهة والسيطرة، في حين أن المرحلة الأولى لم تكن قد اكتملت بعد.

التغيرات في التكتيك المتبع في القتال من قبل الثوار في حي القصور، ساعد على صمودهم مدة أطول بكثير من تلك التي استخدمت في كرم الزيتون أو جب الجندلي أو حتى بابا عمرو، حيث اتبع الثوار

[٢٠] كانت هذه الحواجز منتشرة في كل مكان، وقد قتلت عدد كبير من المتظاهرين والمارة بدون أي تميز، بالإضافة لعمليات الاعتقال ومنع دخول المواد والبضائع، وتعطيل أعمال الناس، وإطلاق الرصاص على المنازل ليلاً من أجل فرض حالة من حظر التجوال، وغيرها من الممارسات المشينة.

سياسة "التمترس داخل الكتل السكنية"، مع استخدام القناصات بشكل أكبر للسيطرة على المساحات، وهذا قدم عدة فوائد أبرزها:

١. جعل القتال يدور على بناء تلو الآخر، بدل أن يكون شارع تلو الآخر، مما جعل المدة الزمنية اللازمة للسيطرة على الحي أكبر بكثير من القتال في الشوارع.
٢. هذا التكتيك أضعف من قوة السلاح الثقيل للنظام، وعلى الرغم من أن الدبابة مثلاً تستطيع أن تقصف البناء عن بعد إلا أنها لا تستطيع دخوله، خاصة في ظل وجود تحصينات جيدة للأبنية السكنية.
٣. دفع جنود النظام على المواجهة المباشرة مع الثوار، مما أبرز قوة الثوار، وأظهر تفوقهم الفردي، في أغلب المعارك، وأثبت جُبن عناصر النظام مقابل شجاعة الثوار.

هذا التكتيك تم اتباعه في أغلب المعارك التي تلت معركة القصور، مما جعل صمود تلك المناطق منطقياً، إذا ما تم مقارنة عتاد الثوار بعتاد النظام.

وبدأت الجماعات العسكرية تقوم بالمهام الأتية:

١- مهمة الدفاع والحراسة، للدفاع عن المناطق التي يسيطر عليها الثوار.
٢- مهمة النقل والإمداد، لتزويد المدينة بالسلاح والذخائر اللازمة خاصة أن المدينة وسط البلاد وهناك صعوبة كبيرة في عمليات امدادها.
٣- مهمة الاغتيال والرد، لاستهداف شخصيات قيادية في النظام ومخبرين ومتعاملين معه.

واعتمد الثوار على حفر الخنادق والأنفاق بشكل كبير من أجل التنقل وتسهيل عمليات الإمداد، وجرت الاشتباكات والمعارك طيلة سنتين ونصف داخل المدينة، واعتمد الثوار على ما ترميه الطائرات التابعة للنظام من قنابل وصواريخ غير منفجرة، لصناعة المتفجرات، وطور الثوار تكتيكات عسكرية جيدة، بعد تعلمهم من التجارب، إلا أنهم لم يستغلوا حربهم بشكل سياسي لتحقيق مكاسب، كذلك كان هناك ضعف تنسيق مع بقية المناطق خارج المدينة.

مع هذا استطاع ثوار حمص أن يصلوا إلى إشعال سورية بشكل كامل، وأن يحملوا جذوة العمل الثوري ويلهموا غيرهم بالعمل بنفس الطريقة، ولكن الجغرافية لم تساعدهم كثيراً في عمليات الإمداد ومعارك فك الحصار مما جعلهم يتركون المدينة وينتقلون إلى أماكن أخرى خارجها.

الفصل الرابع: نماذج تطبيقية من منظمات طبقت النظرية الثورية

أولاً: منظمة أيوكا (المنظمة الوطنية للمحاربين القبارصة)

عملت منظمة أيوكا ضد الاحتلال الإنجليزي في قبرص مع بداية الخمسينيات مع القرن الماضي، وقاد المنظمة الجنرال غريفاس، وقد أعلن الرجل كفاحه المسلح ضد بريطانيا العظمى مع بداية آذار عام ١٩٥٥، وبدأ الحرب بسلسلة من التفجيرات في مختلف المناطق، وكانت التفجيرات تستهدف محطات الاتصال والنقاط العسكرية الهامة في المكان، كذلك بالنسبة لمحطات الكهرباء والمياه، وترافقت هذه الأعمال بتظاهرات قوية شارك فيها الطلاب والمعلمين، وتم طرد الشرطة من الشوارع.

بدأ العمل العسكري لأيوكا بحوالي عشرين رجلاً فقط، واستخدم الثوار سلسلة جبال سيرين وترودس كأماكن للتحصن ومن ثم النزول للقيام بعمليات على الطرقات وفي نقاط محددة، وتم استهداف الحاكم البريطاني أكثر من مرة ورجاله أيضاً، وكان رجال أيوكا يتحركون بحرية مستفيدين من تعاطف الشارع القبرصي معهم، واستفادوا من عمليات التمويه وتغير شكل تنفيذ العمليات العسكرية.

توسعت عمليات أيوكا في مختلف أنحاء اليونان، وقامت بضرب أهداف عسكرية ومدنية واسعة، وهدفت هذه العمليات إلى:

١- إثارة الرأي العام العالمي، وخاصة لحلفاء اليونان، من أجل أن تتمكن الدول في الأمم المتحدة من إجبار البريطانيين دراسة مشكلة قبرص.
٢- التشويش بحيث تبدو بريطانيا عاجزة وغير قادرة على معرفة طريق للثوار مما يعني ضعفها أمام العالم.
٣- تحريك الرأي العام البريطاني في مسألة خسارتهم للجنود البريطانيين مما يجعلهم يطالبون بحق قبرص بتقرير المصير.

اعتمدت أيوكا على تمويل نفسها من العمليات ضد مراكز الشرطة الضعيفة، وحاولت تكبيد البريطانيين خسائر على مستوى الروح المعنوية، كما حاولت أن تجعلهم ينتشرون أكثر ويتشتتون في البلاد مما يقلل قدرتهم على التركيز ويصبحوا أهداف سهلة لهم على الطرقات.

استطاع غريفاس أن يلهب مشاعر الجمهور القبرصي، وأن يجرأه على طلب حريته، فخرج بمظاهرات كبيرة، وقلب سيارات الجيش البريطاني، واشتعلت قبرص ووصلت المسألة للأمم المتحدة لمناقشة مصير قبرص.

وقد تميزت أعمال أيوكا بما يلي:

- الاعتماد على العمل السياسي بشكل رئيسي، والقيام بضربات صغيرة ومخيفة ضد الاحتلال من أجل تحريك الرأي العام، وتدويل القضية.
- مولت أيوكا نفسها من الهجمات على مراكز الشرطة الضعيفة، ودوريات الجيش على الطرقات.
- استخدمت أيوكا الحاضنة الشعبية بشكل جيد، وكسبتها وعملت بينها، ورد البريطانيون على أيوكا بمحاربة السكان والتضييق عليهم مما جعلهم يقدمون الدعم لأيوكا بشكل أكبر.
- نجحت منظمة أيوكا بتحويل شخصيات عامة إلى أبطال في أعين الشعب، وقامت بريطانيا بإعدام هؤلاء الأبطال مما أشعل الشارع وألهب الوضع.
- استخدمت أيوكا الإعلام بشكل مميز، لتقليل شأن الجنود البريطانيين وصناعة الأبطال، وتهييج الشعب، والإعلان عن العمليات.
- انطلق الثوار من الجبال نحو المدن والأرياف وقاموا بعمليات على الطرقات وضد المنشآت الحكومية، واستطاعوا أن يحققوا مكاسب جيدة.

ثانياً: حرب العصابات في مصر (الضباط الأحرار)

منذ بداية عام ١٩٥١، شن المصريون حرب عصابات شرسة ضد القوات البريطانية، بدءاً من تفجير القطارات التي تحمل دبابات وإمدادات الجيش البريطاني، ومهاجمة نقاط التفتيش البريطانية على الطرق وحرق مخازن البترول البريطانية، واصطياد دبابات الاحتلال، وملأت أخبارهم الصحف البريطانية وقتها، ووصل ذعر قوات الاحتلال البريطاني، إلى الحد الذي منعت فيه القيادة البريطانية جنودها من مغادرة المعسكرات بعد وقت الغروب، بسبب عمليات اصطياد الجنود التي كان يقوم بها طلبة الجامعات الذين شكلوا مصدراً لا ينقطع لإنتاج الفدائيين. ففي معركة التل الكبير التي بدأت بنسف خطة سكة حديد أكثر من مرة وتحول فيها جنود الجيش البريطاني إلى فرائس يصطادها الفدائيون، وحاصرت فيها قوات

الاحتلال القرية وقصفتها بالمدافع، تكبد الجيش البريطاني خسائر كبيرة، وهي المعركة التي عدد القتلى فيها ٣٠ فدائياً فقط، خرج حوالي ربع مليون في اليوم التالي لتشييع جثمان أحدهم بعد استشهاده في المعركة وكان طالباً في كلية الآداب يبلغ من العمر ٢٠ عاماً فقط!.

ونتيجة لعملهم هذا استطاعوا في ليلة ٢٣ يوليو أن يقوموا بتأمين مداخل القاهرة والاسكندرية بالتنسيق مع الضباط الأحرار، لينجح ضباط الجيش في إجبار الملك فاروق على التنحي.

بداية حركة التحرير المنظمة فى قناة السويس سنة ١٩٥١

انسحب العمال المصريون الذين كانوا يعملون بالمعسكرات البريطانية وقدروا بحوالي ٦٠ ألف عامل وموظف وقاطع العمال" المصريون " العمل في القواعد البريطانية بمنطقة القناة، كما قاطع سائقو القطارات وعمال السكك الحديدية خدمة القوات البريطانية وبدأت معارك المقاطعة السلبية التى تطورت بعد ذلك إلى الكفاح المسلح الذى يستهدف شل فاعلية القاعدة، وامتلأت مدن القناة وقراها بالعديد من الجماعات الفدائية (التى تنتمى لمختلف الأحزاب وخاصة الوفد، ومصر الفتاة ، والدستوريين والسعديين ولجماعة الأخوان المسلمين).

كان أكثر الفدائيين من طلبة الجامعات، وبدأت الجماعات الفدائية تشن غاراتها اليومية على المعسكرات والمستودعات البريطانية فى منطقة القناة، وسقط الكثير من الشهداء فى بورسعيد والإسماعيلية والسويس وفى باقي منطقة القناة.

ولكن هذا العمل كان يتطلب تنظيماً وتنسيقاً معيناً من الحكومة ، الأمر الذى أدى إلى قيام القوات البريطانية بإجراءات فعالة لمواجهته ، كالتفتيش الدقيق لقطارات السكة الحديدية والسيارات المتجهة برا إلى مدن القناة ، ثم السيطرة الكاملة على المعابر والكباري المؤدية إلى سيناء، وزادت دورياتهم المسلحة في المدن ، وانتشرت دشم الرمل على مداخل المعسكرات ، وأضيئت أسوار المعسكرات بأضواء كشافة قوية وبلغت أزمة العلاقات بين البلدين ذروتها ....

وساد جو توتر على الحياة في مدنها وقراها ، ولم تستثنى بورسعيد من تلك الإجراءات. لم يتخلف الجيش أو البوليس "الشرطة" عن القيام بدورهما ، فتم التقاء نخبة من ضباط الجيش والبوليس والمدنيين لتشكيل بعض المنظمات الخاصة لمهاجمة أفراد قوات الاحتلال التي ما كانت موجودة في قواعدهم على امتداد منطقة القناة بكاملها وذلك لإجبار الحكومة البريطانية على قبول وتوقيع معاهدة

الجلاء.

ويبين البكباشى عبدالفتاح أبو الفضل بعض خبايا هذه المرحلة ، في مذكراته التفصيلية عن دوره في المقاومة السرية بعد إلغاء المعاهدة في أكتوبر ١٩٥١، بدأ تجمع وتجنيد الفدائيين من طلبه الجامعات والموظفين لتكوين المقاومة السرية الملحة ضد قوات الاحتلال بمنطقة القناة ومهاجمة معسكراتهم ، وقد دربهم عدة ضباط وفى مقدمتهم الصاغ محمد كمال الدين رفعت ومحمود حسين عبدالناصر وسعد عبدالله عفرة وسمير غانم ، كما شاركهم بعض ضباط الجيش المصري والبوليس علاوة على بعض العناصر العسكرية وبعض العناصر المدنية وساهموا جميعا في تدريب طلبه الجامعات و الموظفين في صحراء الفيوم علي الأسلحة والتكتك وحرب المقاومة السرية وتحدد لكل منهم منطقة لنشاطه للتحضير لعمل المقاومة السرية ضد قوات الاحتلال البريطاني ، وبدأت حرب المقاومة ضد قوات الاحتلال البريطانية في منطقة قناة السويس.

ويذكر مثلاً أبو الفضل في مذكراته بأن زميله سعد ، ويقصد به (الصاغ سعد عبدالله عفرة) كان الناظر العسكري لمحطة أبو سلطان في القنال في الأعوام السابقة وكانت له مدة خدمة طويلة بالمنطقة وله معارف في كل مكان وفي القرى المحيطة ومندوبين في المناطق الأخرى لمقاومة البريطانيين ومنهم ضياء الدين حسنين في الإسماعيلية ، ملازم أول يحيى راشد في فايد ، والملازم أول عبد القادر عبد العظيم السويس ، والشيخ حسن اللق (شيخ البلد) الصالحية.

أما في بورسعيد فكان المسؤولون عن تشكيل المقاومة ضد معسكرات الجيش البريطاني قبل اتفاقية الجلاء كل من الصاغ يحيى القاضي ، واليوزباشى مصطفى كمال الصياد ،وابراهيم عبد الغفار ،ومحمد الشاعر. ويكفينا شرف، ما يذكره رئيس مارشالات الجو البريطاني (سير دافيد لي) في كتابه من العديد عن تفاصيل وشراسة المقاومة المصرية وحركة التحرير في قناة السويس خلال عام ١٩٥١ لتسجيل صحة تاريخ قسوة هذه المرحلة ، الأمر الذى أدى إلى قيام القوات البريطانية بإجراءات قاسية ، وقد وصل الأمر إلى القيام باختطاف جنود وضباط بريطانيين ، وقتل أو اختطاف البعض من الذين جرأوا على التعاون مع جنود الاحتلال الإنجليزي ومنهم على سبيل المثال " الخائن صبر كنج" المشهور .(١)

وما كان لحرب العصابات أن تكون ناجعة لولا التنظيم الذي حظيت به من قبل العسكريين في صفوف القوات المسلحة، حيث يذكر حسين محمد حمودة كأحد الضباط الأحرار في كتابه صفحات من تاريخ مصر أنه وكمال الدين حسين وخالد محي الدين قاموا بترجمة كتاب عن حرب العصابات من اللغة

الإنجليزية إلى اللغة العربية في منزله. ومن ثم تمت طباعته مترجماً في مطابع الكلية الحربية حيث كان جمال عبد الناصر مدرساً فيها، وبذلك تبدأ مرحلة جديدة من تدريب الشباب على حرب العصابات وكانت التدريبات تتم في صحراء حلوان وجبل المقطم ومحافظة الشرقية والاسماعيلية ،وكان التدريب يتم على الأسلحة الصغيرة مثل الطبنجات والبنادق والرشاشات الصغيرة والقنابل اليدوية وأساليب النسف والتدمير بأصابع الجيلجيت وأسلوب استخدام زجاجات المولوتوف ضد دبابات العدو، ويتم التدريب لرؤساء الخلايا لينقلوه بدورهم إلى الأفراد التابعين لهم.

وبعدها شهدت مصر حرب عصابات مسلحة ضد قوات الاحتلال البريطاني وكان القائمون على التدريب من الضباط يدربون الشباب على استعمال الأسلحة بأسلوب حرب العصابات (اضرب واهرب).

ثالثاً: حركة تحرير حمص

تأسست حركة تحرير حمص في سورية عام ٢٠١٢م تحت مسمى (حركة التحرير الوطنية)، ثم أعادت هيكليتها عام ٢٠١٤م تحت مسمى (حركة تحرير حمص) من فصائل ثورية تقاتل نظام بشار الأسد منذ بداية الثورة المسلحة، وتضم في صفوفها أكثر من خمسين ضابط عامل في ساحات القتال، وانتشرت ضمن مناطق واسعة من محافظة حمص، لتتشارك مع فصائل أخرى في العمل العسكري ضمن المناطق المتواجدة فيها، وقد ركزت جهدها للعمل على التصدي لقوات الأسد من خلال التواجد على نقاط مواجهة للجيش.

عملت حركة تحرير حمص على استخدام نظرية الحرب الثورية وفق الأسس والمبادئ الآتية:

- الاعتماد على تشكيلات الثوار من ضمن المناطق ذاتها، مما يجعل الحاضنة الشعبية أكثر تأييداً وأكبر تعاطفاً.
- استهداف الحواجز العسكرية لجيش الأسد وشبيحة النظام، والميليشيات المساندة له، حيث عملت الحركة على تدمير عدد من حواجز النظام ومخافره الحدودية ونقاطه العسكرية، ونفذت أعمال عسكرية في عمق صفوف النظام.

- توفير أعداد من المقاتلين كخلايا عاملة ضمن مناطق سيطرة النظام، وتفعيل الخلايا الأمنية، والتي كان لها دور كبير في القبض على عدد من عناصر الأمن العسكري للنظام وعملائه المدسوسين بين صفوف الثوار[٢١].
- الاقتصاد المادي، بسبب التقتير ومنع الدعم الموجه إلى حمص عملت الحركة على الميل لاستخدام المصنوعات المحلية من أسلحة مدفعية وذخائر وصواريخ وألغام وغيرها من الوسائط.
- اعتماد التنسيق العالي بين التشكيلات أساسا للقيادة غير المركزية ، وذلك بسبب انتشار تشكيلات الحركة في أماكن لا يمكن أن تلتقي فيها ضمن جغرافيا متصلة.
- التربية العقائدية التي يتفوق فيها مقاتلو الحركة على مقاتلي النظام يتم صقلها وإذكاءها من خلال نشاطات (القسم الشرعي، قسم الإرشاد ، المكتب القضائي ، المعسكرات الخاصة ، القسم الإعلامي ، القسم الأمني ،منشورات وتوجيهات إدارة الحركة).
- سرعة الحركة وخفتها والتمركز في أماكن غير محددة، وعمليات الكر والفر.

بعض أساليب حرب العصابات التي نفذها قادة ومقاتلون في الحركة:

١- استخدام الأنفاق كخطوط إمداد بالذخيرة والمقاتلين.

٢- قتل الشخصيات المؤثرة، حيث يروي القائد الثوري شريف هلال قائد (كتيبة الشهيد نضال هلال) أنه بعد دخول حزب الله إلى مقر قيادة الهجانة في الدار الكبيرة في كانون الثاني ٢٠١٤م لاحظ مرصدنا أنه أثناء خروج إحدى الشخصيات ودخولها إلى مقر الهجانة يحدث استنفار كبير بين مقاتلي الحزب، مما ساعد على تنفيذ عملية قتل لأحد القيادات البارزة في المنطقة.

٣- الأعمال التظاهرية والمشاغلة والإشاعات، و يروي الرائد علي أيوب القائد العسكري للحركة أنه قام بعمليات مشاغلة واطلاق شائعات ضد جنود النظام في أكثر من عملية، مما سهل التنفيذ.

٤- الكمائن وقطع خطوط الإمداد.

٥- التسلل إلى خطوط تماس العدو.

[٢١] مقطع مرئي لاعترافات الخلية http://goo.gl/8yjQuL

٦- الاستخدام المركب لأساليب حرب العصابات، يروي الرائد عصام حجازي (قائد الكتيبة التاسعة): أنهم نفذوا عملية في منطقة سهل الغاب اعتمدت على أساليب مركبة في اقتحام أحد الحواجز العسكرية قرب منطقة عين الطاقة كمثال على الأمر.

المراجع والمصادر:

١. حرب الغوار لتشي غفارا.

٢. حرب غزة الثالثة، حدود القوة الاسرائيلية وأفق المقاومة، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٤-٧-٢٠١٤.

٣. حسيب خير الدين، العراق وأمريكا إلى أين؟، مركز الدراسات العربية المعاصرة، جامعة جورج تاون، واشنطن، ٢٠٠٦.

٤. الدريدري، أحمد هانئ، الثقافة العسكرية، موقع منبر التوحيد والجهاد، http://www.tawhed.ws

٥. ديان، موشى، محاضرات في حرب العصابات، الأكاديمية العسكرية بتل أبيب، ١٩٦٧.

٦. روبرت تابر، حرب المستضعفين، دار النشر غير معروفة، النسخة العربية.

٧. سلامة، رمزي، الأثار السياسية والاقتصادية للحرب على العراق (٢٠٠٣-٢٠٠٨)، مجلس الأمة الكويتي، ٢٠٠٨.

٨. صبحة، محمد ناجي، حرب العصابات والتطبيق الفلسطيني، مؤسسة فلسطين للثقافة، ٢٠١١.

٩. صحيفة الوسط، عدد ٦-٨-٢٠١٤.

١٠. فياض، علي، التجربة العسكرية الفيتنامية، مؤسسة عيبال، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، ص١١١.

١١. كاخيا، ابراهيم اسماعيل، تصنيف الحروب الحديثة وفق المعايير المعاصرة، مجلة الفكر السياسي، تاريخ الإصدار غير معروف.

١٢. محسن محمد صالح، حركة المقاومة الإسلامية حماس: دراسات في الفكر والتجربة، مركز الزيتونة للدراسات، بيروت، ٢٠١٤.

١٣. المقرن، عبد العزيز، كتاب البتار، دورة تدريبية، معسكر البتار، الإصدار الأول، شعبان١٤٢٥ هجري.

١٤. منصور، أحمد، حرب الفلوجة، هزيمة أميركا في العراق، دار الكتاب، ٢٠٠٨، ص١٧٩.

١٥. هلال، هيثم، موسوعة الحروب، دار المعرفة للنشر، بيروت، ٢٠٠٨، ص٤٣٠.